

تفريغ مجلس الأربعين المدنية في تفسير القرآن بالسنة النبوية (المسجد النبوي) مغرب الأربعاء ٢ رجب ١٤٣٣

الأربعين المدنية

في تفسير القرآن بالسنة النبوية

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولشايخه وللمسلمين



الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد،

أيها الإخوان:

إنّ راحة الأرواح وحدائق الأفراح دوام الاتصال بالله ﷻ، فما انشרכת الصدور ولا اطمأنت القلوب ولا انطلقت الأسارير بشيء أعظم من لياذ العبد بربه ﷻ، وإنّ من أجلّ المشاريع المؤدية إليه والمسالك الدالة عليه هو التماس العلوم الشرعية المقربة إليه ﷻ.

ومن رام نجاته حسن به أن يفني عمره فيه التماساً وأخذاً وتعلماً وتعليماً وتفهماً وبذلاً ونشراً وبثاً، فلا يُفرغ شيئاً من وقت زمانه في سوى العلم الشرعي؛ ذلك أنّه ميراث النبوة وما ترك النبي ﷺ لنا شيئاً نستبق إليه ولا نتنافس فيه أعظم مما تركه من العلم المقرب إلى الله ﷻ، ولا ينبغي أن يكون على العبد ليتخلف عن مقاعده ولا أن يتأخر عن مجالسه، لأنّ التخلف عنها تخلف عما يقربه إلى الله ﷻ، ولا يبيح له ذلك إلا عذرٌ قاهر يبيح له أن يتخلف عنه فيكون معذوراً عند الله ﷻ وعند كُمل خلقه.

وكما يجمل بالمتعلم الملتمس العلم أن يعتذر إذا غاب؛ يجمل أكثر بالمدرّس المعلّم أن يعتذر إذا غاب، وإني أعتذر إليكم جميعاً عن تخلفي في الدرس الماضي لأمرٍ غلب من

عارضٍ صحي كنت لا أستطيع معه أن أجلس للدرس، وعسى أن يكون في ذلك خيرة لي ولكم.

وكما أنه يعزّ عليكم فقدان الدرس، فإنه يعزّ عليّ أكثر؛ أن يتكلّف واحدٌ منكم الصعاب ويتجشم مشاق الوصول إلى الدرس، ثم يرجع ولم يُحصّل مبتغاه، لكنه إذا لم يُحصّل مبتغاه مما يسمعه من العلم، فإنه إذ حُسنت نيته وطابت سريرته؛ قد رجع بالأجر من الله ﷻ، فنسأل الله ﷻ أن لا يحرمنّا الخير، وأن يبارك لنا فيه، وأن يعيننا على التماس العلم وأخذه وبذله ونشره، وبالله التوفيق.

وبعد،

أيها الإخوان:

مما ينبغي أن يعلم العبد من العلم النافع الذي لا يُغفل عنه؛ معرفة ما جاء عن النبي ﷺ في تفسير القرآن الكريم، فإنّ تفسير القرآن الكريم يُطلب أولاً مما جاء في كلام الله ﷻ، فإن عَزَب العلم عنه، فإنّه يُلتَمَس فيما جاء عن النبي ﷺ.

وهذا المؤرد في التفسير هو المورد الثاني، والمنهل الآخر بعد المؤرد الأول، وهو مؤردٌ عظيم إلا أنّ نَزَعَ الناس منه بأخرة صَعْبٌ وَقَلٌّ، وذلك أنّ الكتب التي صُنفت في تفسير القرآن الكريم بأحاديث النبي ﷺ كتب كبار انقطعت عادة الناس وقدراتهم عن قراءتها، فإنّ أشهر التفاسير المصنفة في تفسير القرآن بسنة النبي ﷺ هو كتاب (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) للعلامة السيوطي رحمه الله تعالى، وهو كتاب كبير انقطع منذ قرون قراءته، ولا يوجد إلا في بعض تراجم بعض العلماء قبل قرنين؛ الحرص على تدريسه ودراسته.

ومن آخر المدارس العلمية التي كانت تُعنى بهذا الكتاب؛ المدرسة الحِفظيّة في (رجال) وهي من المناطق القريبة من أبها، وتُعرف بلدتهم بـ (رجال ألمع) وتُعرف المدينة دون إضافة

مدينة رُجال، فإنّ في الكتب المقررة حينئذ فيها كتاب (الدر المنثور)، وكان من آخر من درّسه ودرّسه العلامة أحمد الحفّظي الثاني بن عبد الخالق بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الحفّظي المتوفى سنة ١٣١٧ ، فإنه من آخر من كان معنياً بهذا الكتاب.

وما سوى هذا الكتاب من الكتب التي عُنيّت بجمع أحاديث التفسير لم يعد للناس عناية بها ولا إقبال عليها، ومن أشهرها كتاب (المعتمد من المنقول) للقاشي، وهو مطبوع في مجلدين، فإنه من أنفس الكتب التي جمعت أحاديث التفسير؛ ذاك أنّ مصنفه عمد إلى الكتب الستة سوى ابن ماجه، وجعل موطأ مالك عوضاً عنها، فألف كتابه في التفسير مرتباً على سور القرآن، وجعل بين يديه مقدمة نفيسة تتعلّق بالتفسير مما جاء في أحاديث النبي ﷺ وآثار السلف رجمهم الله تعالى.

ثم جاء السيوطي واشتهر كتابه، ثم جاء بعده محمد بن أحمد عَقِيلَة فألف كتاباً كبيراً في التفسير بالمأثور زاد فيه زيادات على كتاب السيوطي المعروف بالدر المنثور، وهو موجود بخط ابن عَقِيلَة في أربع مجلدات كبار في مكتبة السليمانية باستنبول، وتوجد منه نسخة مصورة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

فهذه الكتب الثلاثة هي من أشهر ما عُني فيها بجمع أحاديث التفسير، وهي كتب كبار لا تمتد الأعناق اليوم إلى قراءتها واستيضاح المعاني الواردة في الأحاديث الواردة في تفسير القرآن الكريم.

وكان أحد المعنّين بجمع الحديث وترتيبه في تأليف وكتب، وهو أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله؛ صنف كتاباً كبيراً أراد أن يكون مُعِيناً للطالب على حفظ أحاديث التفسير سمّاه (المغني في التفسير) ذكره في مقدمة كتابه الحقائق، إلا أنّه لا يوجد اليوم لا مخطوطاً ولا مطبوعاً فيما أعلم؛ مما دعاني قديماً إلى أن أعتني بجمع أحاديث التفسير في صعيد واحد، فهياً الله ﷻ تأليف ليس هذا محل بيان ذكرها، لكن كان من آخرها مما دعت الحاجة إليه:

الكتاب الذي ذكرتُ لكم من قبل، وهو كتاب (إمداد المستشير بأصول الأحاديث في التفسير).

وحسُنَ قبل إقراء هذا الكتب وشرحه إن شاء الله تعالى أن نجعل كتاباً وجيزاً يترقى به الطلاب إلى حفظ الأحاديث الواردة في التفسير وفهم معانيها، فجمعت أربعين حديثاً نبوياً في تفسير القرآن الكريم جعلتها في تفسير الفاتحة والمفصل، لأن هذا المجموع هو من أكثر المجموع الذي يحفظه الناس ويعتنون به من عهد السلف رحمهم الله تعالى إلى اليوم.

وهذه الأحاديث الأربعون المجموعة ابتغيَتْ أن يكون إملؤها في المدينة النبوية، لما لها من الشرف في ذلك، وكون تلك الأحاديث مما حدّث به النبي ﷺ في غالبها في هذه المدينة الطيبة، وستكون إن شاء الله تعالى باكورة شرح أحاديث التفسير التي سنبدؤها في زمن نذكره عند ختام الدرس.

فسنبداً بإذن الله تعالى في إملاء هذه الأحاديث الأربعين التي ارتضيت لها اسماً وهو (الأربعين المدنية في تفسير القرآن بالسنة النبوية)، فنشرع إن شاء الله تعالى في إملائها وتكتبون ما نمليه، وبعد ذلك نعارض المسموع بالمملّى بالمكتوب عندكم فنقول:



الحمد لله الذي أنزل القرآن آيات بينات، وملاً به صدور الذين أوتوا العلم من المؤمنين والمؤمنات، جعله لكل شيء تبياناً^١، وختم به كتبه صدقاً وإحساناً، والصلاة والسلام على عبده ورسوله الذي أنزله عليه، وصيّره أبلغ آية مرشدة إليه^٢، اتّبعه قراءةً وبياناً؛ فكمّل به علماً وإيماناً^٣، وعلى آله وصحبه الخير المهتدين، ومن اتبع الصراط المستقيم إلى يوم الدين.

أما بعد،

^١ تبيان على زنة تفعال، والكلمات التي جاءت على هذه الزنة من المصادر: تبيان، وتذكّار، وتلقاء، هذه الكلمات الثلاث هي التي أُجمع عليها، ووراءها كلمات يسيرة مختلف فيها، وما عدا ذلك فالأصل أن يكون على زنة تفعال، فمثلاً كلمة تكرر هل هي تكرر أم تكرر؟ تكرر، بفتح التاء على هذه الزنة.

^٢ يعني أعظم آية تدل على نبوة النبي ﷺ هو القرآن الكريم.

^٣ كمّل أم كمّل؟ كمّل صحيحة، لكن للدلالة على بلوغ الغاية في الفعل جاءت بضم عيّنه، فتقول مثلاً في رجلٍ تعلم العلم: فقه الرجل، لكن — فقهه — في حق من قد بلغ الفقه منه.

^٤ أما بعد، لماذا يؤتى بها؟ كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر، هي ليست مختصة بصدر الكلام، بل عندما يتحدث الإنسان حديثاً طويلاً أو يكتب كتاباً يسوغ له في أثناءه أن يقول: أما بعد، لأنها انتقال، وما معنى أسلوب؟ الأسلوب هو الفن من فنون الكلام، والفن يعني النوع، يعني يؤتى بها للانتقال من نوع من الكلام إلى نوع آخر، هذه الفائدة لا أعلمها إلا في كتاب إذا وجدتم غيرها تستفيدون لكن هذه الفائدة ذكرها سليمان الجمل في فتوحات الوهاب في فقه الشافعية عن شيخه عطية الأجبوري.

فهذه أربعون حديثاً نبوية في تفسير طائفة من الآيات القرآنية؛ اقتطفناها^١ من دَوْحَةِ الرواية المسندة وأبرزناها في أحسن صُورِها المجردة^٢، مُتَّبَعاً ما تقرر من القواعد عند أهل الحديث الأماجد^٣، وربنا المسؤول أن يؤتينا فهم القرآن، ويحفظ علينا السنة والإيمان.

^١ الاقتطاف: هو الأخذ بسرعة، وما الفرق بينه وبين الاختطاف؟ الأخذ بسرعة أكبر، وذكرْتُ لكم فيما سلف أن العرب في أسرار فقه اللغة تجعل للحرف بسبب قوته أثراً في معناه.

^٢ ما الفرق بين الرواية المسندة والرواية المجردة؟ المسندة يعني سنداً ومُتَنًا، والمجردة الصحابي رضي الله عنه والحديث المروي عن النبي ﷺ، ومُخَرَّجَه، هذه أحسن صورها، أن تذكر الصحابي ثم تذكر الحديث ثم تذكر مُخَرَّجَه.

فمثلاً لو قلنا حديث: (إنما الأعمال بالنيات) الحديث، هذه أقل درجة، ثم الدرجة التي أعلى منها: عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إنما الأعمال بالنيات) هذه المرتبة الأعلى، ثم المرتبة الأعلى: عن النبي ﷺ قال: (إنما الأعمال بالنيات) متفق عليه، هذه الثالثة، الرابعة: عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إنما الأعمال بالنيات) متفق عليه. فالصورة الكاملة عند ذكر الأحاديث مجردة أن تجمع بين راويه من الصحابة، ثم تأتي بلفظه، ثم تتم ذلك بذكر مُخَرَّجَه، هذه أكمل الرواية المجردة. المسندة هي التي تكون مُساقفة بإسنادها، والمجردة هي التي تكون بدون إسناد مثل كتاب الأربعين النووية وعمدة الأحكام وبلوغ المرام ورياض الصالحين ومشكاة المصابيح، هذه تسمى كتب رواية مجردة.

^٣ يعني القواعد عند إرادة الرواية المجردة تكون بحسب القواعد التي قررها المحدثون، فمثلاً لو جئنا إلى حديث عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (من يقل عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار) قلنا: متفق عليه، هذا على قواعد أهل الحديث صحيح أم غير صحيح؟ هذا الحديث عند البخاري وحده، ويوجد معناه في مسلم من حديث غيره، فعند ذلك هل يصح أن نقول: متفق عليه؟ لا، وإنما نقول: أخرجه البخاري.

ومن عجائب هذا الحديث أنه أول ثلاثيات البخاري، وهذا الحديث أحد الأحاديث التي تفرد بها البخاري عن بقية الستة، فالبخاري تفرد بأحاديث عجيبة لم يروها سواه من الستة، والأصل أن يكون ما رواه البخاري أصلاً في الأبواب يتابعه غيره إما مسلم وإما أصحاب السنن أو بعضهم، لكن فيه أحاديث كثار، وهي كبار لم يروها إلا هو من الستة كهذا الحديث، وكحديث (من عادى لي ولياً فإنه لم يروه أحد من الستة إلا البخاري في أحاديث آخر تستوجب نظراً من جهة الرواية والدراية، وهذه إلماعة إلى ذلك، لكن المقصود أن تعلم ما يجري عليه العزو هنا وما سوى ذلك هو جار على القواعد المتقررة عند أهل الحديث.

الحديث الأول

في تفسير قوله تعالى: {غير المغضوب عليهم ولا الضالين}

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (اليهود مغضوب عليهم،
والنصارى ضالّال) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.



الحديث الثاني

في تفسير قوله تعالى: {يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد}

عن أنس بن مالك رضي الله عنه^١ قال: قال النبي ﷺ: (لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول: قط قط^٢، وعزتك، ويُزوى بعضها إلى بعض) متفق عليه^٣.

^١ من القواعد اللطيفة: المحدثون خاصة، وأهل العلم عامة يعتنون بحفظ زمانهم، فرما جعلوا رمزا لما يريدونه، فمثلا البخاري يرمزون له: (خ) ومسلم (م) لإرادة حفظ الوقت في ذلك، وربما جعلوا هذا للرواة فرمزوا لأحدهم، ففي سنن البيهقي في موضع منه: عن (ع) عن ابن عباس، قال البيهقي: (ع) هو عكرمة، يعني الراوي، حدث به اختصارا، فهم قد يختصرون، فأحيانا إذا شُهر الصحابي وكثر حديثه وأنت تكتب أحاديث كثر فيمكن أن تجعل له رمزا كأنس بن مالك، فإنه أحد المكثرين فيمكن أن تجعل (أ) رمزا مستقرا عندك لأنس، وقس على هذا بقية ما يدور ذكره من المعاني عند أهل الحديث.

^٢ بالطاء أم بالذال؟ بالطاء، هذا الذي أمليناه، وفيها رواية بالذال بمعنى (قد) الاسمىة: حسب.

^٣ ما معنى متفق عليه؟ أخرجه البخاري ومسلم عن نفس الصحابي، فلا بد أن يكون هذا شرطه، فإن أخرجه البخاري عن صحابي وأخرجه مسلم عن صحابي آخر، فهل يقال فيه متفق عليه؟ الجواب: لا، على قواعد أهل الحديث، لاشتراطهم ذلك بأن يجتمع عليه صحابي واحد، طيب، هذا معنى للمتفق عليه، معنى آخر للمتفق عليه؟ بالإضافة إلى أحمد عند المجد بن تيمية أبي البركات في كتاب المنتقى، طيب، وغيره؟

قلنا (متفق عليه) عند أهل الحديث ثلاث اصطلاحات: أولها: ما أخرجه البخاري ومسلم عن واحد، والثاني: ما أخرجه البخاري ومسلم مع أحمد، وهو اصطلاح أبي البركات المجد بن تيمية في كتاب المنتقى، والثالث: أن يكون صحيحا باتفاق على قواعد الحفاظ، فيقولون متفق على صحته بالنظر إلى القواعد المعروفة عند المحدثين.

وهذا يستعمله جماعة من القدماء كأبي نعيم الأصبهاني وأبي عبد الله بن منده، يعني تجد هذا الحديث رجاله ثقات ونسخة مشهورة تُصحح عند المحدثين فيقولون: متفق عليه، يعني على صحته على قواعد المحدثين، وبعض الإخوان هداهم الله يأتون إلى كتب الحفاظ كأبي نعيم الأصبهاني، وأبو نعيم له

الحديث الثالث

في تفسير قوله تعالى: {ومن الليل فسبحه وأدبار السجود}

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (حصلتان أو خلّتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة: هما يسير، ومن يعمل بهما قليل: يسبح في دبر كل صلاة عشراً، ويحمد عشراً، ويكبر عشراً، فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثاً وثلاثين، ويسبح ثلاثاً وثلاثين، فذلك مائة باللسان، وألف في الميزان، فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده، قالوا: يا رسول الله؟ كيف هما يسير، ومن يعمل بهما قليل؟ قال: يأتي أحدكم — يعني الشيطان — في منامه

عناية بالغة في الصحيحين، واستخرج عليهما، فيأتي إلى حديث ذكر أبو نعيم أنه متفق عليه، فيقول: قد وهم في عزوه، فهو ليس في الصحيحين؟ وينسى أنه ربما هو وهم في فهم كلام أبي نعيم. ومن القواعد النافعة التي يُبَارَكُ لِلْإِنْسَانِ فِي الْعِلْمِ بسببها أن ينظر بالتُّهْمَة إلى نفسه، وأن يُجَلَّ كَلَامُ الْأَوَائِلِ فيسعى في تفهم مرادهم، فإن عجز عَدَرَهُمْ، وهؤلاء دَلَّ تَبَعُ اصطلاحهم على إرادة هذا المعنى.

وقد أشرت إلى هذه الاصطلاحات في أبيات فقلت:

متفقٌ عليه في اصطلاح أهل الحديث خذه باتّضح
مرويٌّ مسلمٌ مع البخاري عن واحدٍ بالسند الخياري
إلا الذي في المنتقى تراهُ ففيهما وأحمدُ رواهُ
وربما يُجعل هذا الحكمُ لِمَا تَرَى الحفاظُ نقلاً يسمو

أي: ما رأى الحفاظ أنه يسمو ويرتفع في قبوله فيطلقون عليه ذلك اللفظ، فهذه الأبيات الأربعة جامعة لاصطلاحهم. وأحمد ممنوعة من الصرف، ونحن صرفناها للضرورة الشعرية. والحريري وُفِّقَ لما سَمِيَ منظومته مُلْحَة الإعراب، لأن فيها مُلَح منها قوله:

وجائزٌ في صنعة الشعر الصِّرف أن يصرف الشاعر ما لا ينصرف

فَيُنَوِّمُهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهُ، وَيَأْتِيهِ فِي صَلَاتِهِ فَيُذَكِّرُهُ حَاجَةَ قَبْلِ أَنْ يَقُولَهَا) رَوَاهُ الْأَرْبَعَةُ^١، وَاللَّفْظُ لِأَبِي دَاوُدَ^٢، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.



^١ الأربعة من؟ أصحاب السنن، الجواب: خطأ، أبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجه. لأن السنن كثيرة لكن إذا أردت أن تحصر اصطلاحاً فبيّن المقصود به عند أهل العلم، لأنك إذا قلت أصحاب السنن، من لا يعرف أصحاب السنن يسمع هذا أولاً لا يعرف، لكن تبينه بما ذكرت.

^٢ ما معنى: واللفظ لأبي داود؟ أي: لفظ الحديث المذكور هنا، طيب، لماذا اخترنا لفظ أبي داود دون غيره؟ لتمام المعنى، فليس المقصود كثرة الكلمات، المقصود أن يكون المعنى تاماً، وإذا أردت أن تختار رواية من روايات الأحاديث في كتاب من الكتب، فإنك تُقدّم الأتم، يعني من جهة المعنى، إلا أن تكون الرواية التامة ضعيفة؛ فطرح.

وإلى ذلك أشرت بقولي:

عند اختيار اللفظ قدّم الأتم فإن يكن مُضَعَّفًا فالطرح أم

أم: يعني اقصد إلى طرحه وعدم الاعتداد به.

الحديث الرابع

في تفسير قوله تعالى: {يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير}

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبوبكر، ثم عمر، ثم آتي أهل البقيع فيُحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة حتى أُحشر بين الحرمين) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، وأخرجه الحاكم^١، وزاد: وتلا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: {يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير}. وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.



^١ أين أخرجه الحاكم؟ في المستدرک، من أين عرفتم؟ لما تقرر في القواعد عند أهل الحديث الأماجد، هذه قاعدتهم إذا عزوا للحاكم.

الحديث الخامس

في تفسير قوله تعالى: {وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم . ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم}

عن رجل^١ من ربيعة رضي الله عنه قال: قدمت المدينة فدخلت على رسول الله ﷺ فذكرت عنده واد عاد، فقلت: أعوذ بالله أن أكون مثل واد عاد، قال رسول الله ﷺ: وما واد عاد؟ قال: فقلت على الخبر بها سَقَطَتْ: إن عاداً لما أُقْحِطَتْ بعثت قَيْلاً فنزل على بكر بن معاوية فسقاه الخمر وغنّته الجرادتان^٢، ثم خرج يريد جبال مَهْرَة فقال: اللهم إني لم آتكم لمريضٍ فأداويه، ولا لأسيرٍ فأفاديه، فاسقِ عبدك ما كنت مُسْقِيه، واسقِ معه بكر بن معاوية، يشكرُ له الخمر التي سقاه، فزُفَعَ له سحابات، فقليل له: اختر إحداهن، فاختار السوداء منهن، فقليل له: خذها رمادا رمِداً، لا تذر من عادٍ أحداً، وذكر أنه لم يرسل عليهم من الريح إلا قدر هذه الحلقة، يعني حلقة الخاتم، ثم قرأ: {إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم . ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم}. رواه الترمذي وإسناده حسن.



^١ هذا يسمى عند المحدثين مبهما.

^٢ وهما امرأتان شُهرتا في الزمن الأول بحسن الغناء.

الحديث السادس

في تفسير قوله تعالى: {والبيت المعمور}

عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، فَذَكَرَ حَدِيثَ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ الطَّوِيلِ^١، وَفِيهِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: فَرَفَعَ لِي الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ، فَسَأَلْتُ جَبْرِيلَ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخَرُ مَا عَلَيْهِمْ) متفق عليه، واللفظ للبخاري.



^١ لماذا عمدنا إلى اختصار الحديث، فقلنا: فذكر حديث الإسراء والمعراج الطويل؟ رعاية للمقصود، لأن المقصود هنا بيان الحديث الذي يتعلق بالتفسير، هذا من خصائص كتاب بلوغ المرام، بلوغ المرام قال في مقدمته: (وقد حررته تحريراً بالغاً، ليكون مَنْ يحفظه بين أقرانه نابغاً) هذه الكلمة كم هي في ميزان العلم؟ ليست سهلة، وله فيه تصرفات وأسرار مَنْ لا يحيط بها يرى أن الكتاب كغيره من الكتب، لكن مَنْ يعرف حقيقة هذا الكتاب يعرف قدره، فتجده في أحاديث يختصر رعاية للمقصود.

الحديث السابع

في تفسير قوله تعالى: {فكان قاب قوسين أو أدنى}

عن أبي إسحاق الشيباني قال: سألت زُرَّ بن حُبَيْش عن قول الله ﷻ: {فكان قاب قوسين أو أدنى} قال: أخبرني ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح. متفق عليه، واللفظ لمسلم.



الحديث الثامن

في تفسير قوله تعالى: {إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى}

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما أسري برسول الله ﷺ انْتَهَى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة^١، إليها ينتهي ما يُعْرَج به من الأرض فيُقبض منها، وإليها ينتهي ما يُهْبَط به من فوقها فيُقبض منها، قال: {إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى} قال: فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ^٢. الحديث^٣. رواه مسلم.



^١ هذا لفظ الحديث، وفيه بحث له موضع آخر.

^٢ قرأتُ لكم الحديث هكذا لتكتبوه، لكن إذا جئتم تقرأون ما كان في هذه الصورة لا يقال: قال، ثم تُذكر الآية، بل يقال: قال في قوله تعالى: {إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى} قال: فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ. فهذه تبين الم حذف، وهو: قال في قوله تعالى: {إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى} قال: يعني فسرها: فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ. والدليل على ذلك التصريح بها في مواضع من الأحاديث النبوية وآثار الصحابة والتابعين في التفسير، فأحيانا قد تأتي وتقرأ آية وبعدها تفسير، لا تقول: عن ابن عباس: {يوم يكشف عن ساق} قال: عن كرب وشدة، هذه قراءتها خطأ، عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: {يوم يكشف عن ساق} قال: في كرب وشدة.

^٣ لماذا قلنا كلمة (الحديث)؟ لأن له تنمة، ودعا إلى تركها رعاية المقصود.

الحديث التاسع

في تفسير قوله تعالى: {وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}

عن أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا) متفق عليه، واللفظ لمسلم، وليس عند البخاري: ولا تنافسوا.



الحديث العاشر

في تفسير قوله تعالى: {فلا تزكوا أنفسكم}

عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سميت ابنتي برة، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ نهي عن هذا الاسم، وسميت برة، فقال رسول الله ﷺ: (لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم، فقالوا بم نسميها؟ فقال: سموها زينب) رواه مسلم.



الحديث الحادي عشر

في تفسير قوله تعالى: {اقتربت الساعة وانشق القمر}

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: (اشهدوا). متفق عليه، واللفظ للبخاري.



الحديث الثاني عشر

في تفسير قوله تعالى: {إنا كل شيء خلقناه بقدر}

عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء) رواه مسلم.



الحديث الثالث عشر

في تفسير قوله تعالى: { كل يوم هو في شأن }

عن أبي الدرداء الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: { كل يوم هو في شأن } قال: من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً، ويخفض آخرين. رواه ابن ماجه، وصححه ابن حبان، وصوب الدارقطني وقفه^١.



^١ وقفه: يعني أن يكون من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه.

الحديث الرابع عشر

في تفسير قوله تعالى: {حور مقصورات في الخيام}

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوّفة؛ طولها ستون ميلاً^١، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً) متفق عليه، واللفظ للبخاري.



^١ ميل المسافة أم ميل الميخلة؟ ميل المسافة، لأن المعهود في الخطاب الشرعي استعماله على إرادة ميل المسافة، فلذلك الراوي الذي قال: (فتدنو منهم الشمس قدر ميل) قال: لا أدري ميل المسافة أم ميل الميخلة، الصحيح أنه ميل المسافة لأنه لغة الخطاب في السنة والآثار.

الحديث الخامس عشر

في تفسير قوله تعالى: {ولحم طير مما يشتهون}

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن طير الجنة كأمثال البُخْت^١، ترعى في شجر الجنة، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن هذه لطير ناعمة، فقال: أكلُّها أنعم منها، قالها ثلاثاً، وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها يا أبا بكر) رواه الترمذي وأحمد واللفظ له، وقال الترمذي: حديث حسن^٢.



^١ ما هي البُخْت؟ نوع من الجمال متولد بين عربي وغير عربي، فيسمى: بُخْتياً.

^٢ هل في هذا شيء يخالف القواعد في العزو؟ ذكر أحمد، لأن الحديث إذا كان في الستة لم يعز إلى غيرها، وإن كان في الصحيحين أو أحدهما قدم واكتُفِيَ به، فإن خرج من الصحيحين نُظِر في السنن، فلا يُذكر معها غيرها إلا لموجب مثل الحاجة إلى لفظ، أو جودة إسناده بأن يكون إسناده أجود ممن أخرجه كالترمذي أو غيره، أو نقلت قوله، فقلت: أخرجه الترمذي والدارقطني، وقال الدارقطني: الصواب موقوف، فيسوغ ذكر الدارقطني لأجل نقل قوله. وإلى ذلك أشرت بقولي:

وما أتى في ستة لا يُعزى لغيرها إلا لأمرٍ عزّاً
كلفه أو قوة في سندٍ أو نقلنا لقوله المعتمد

الحديث السادس عشر

في تفسير قوله تعالى: {في سدر مخضود}

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله ينفعنا بالأعراب ومسائلهم؛ أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول الله، لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها، فقال رسول الله ﷺ: وما هي؟ قال: السدر، فإن لها شوكاً، فقال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: {في سدر مخضود} يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكية ثمرة، فإنها تنبت ثمراً، تُفَتَّقُ الثمرة معها عن اثنين وسبعين لونا، ما منها لون يشبه الآخر. رواه الحاكم وصححه، والمحمود عن سليم بن عامر مرسلًا من غير ذكر لأبي أمامة رضي الله عنه.



الحديث السابع عشر

في تفسير قوله تعالى: {وظل ممدود}

عن أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه يَبْلُغُ به النبي ﷺ قال: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم {وظل ممدود}. متفق عليه، واللفظ للبخاري^١.



^١ راوي هذا الحديث مَنْ؟ أبو هريرة، وهو مذكور بكنيته، وتقدم أيضا معنا ممن ذكر بكنيته أبو أمامة الباهلي وأبو موسى الأشعري وأبو الدرداء الأنصاري، والأصل أن الإنسان يذكر باسمه أم بكنيته؟ باسمه، لماذا تذكر الكنية؟ لأمر، منها: اشتهاه بها، ومنها: وقوع الاختلاف في اسمه، ومنها: وجود مشارك له في الاسم لا يتميز عنه إلا بالكنية فتُذكر، فإن عُدمت هذه الأسباب فالأصل أن يذكر باسمه دون كنيته.

الحديث الثامن عشر

في تفسير قوله تعالى: {هو الأول والآخر والظاهر والباطن}

عن سهيل بن أبي صالح قال : كان أبو صالح — يعني أباه — يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر. وكان يروي ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ. رواه مسلم^١.



^١ هذا الحديث يفارق الأحاديث المتقدمة من جهة طريقة سياقه، فإننا ذكرنا بعض إسناده، فهو من رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه صالح عن أبي هريرة، والاصل في تدوين السنة المجردة أن يقتصر على الصحابي فقط، فإن دعا داعٍ مقتضٍ ذكر من دونه واحتيج إليه ذكر، كهذا الحديث، فإنه لا يبين المراد منه وأنه مرفوع إلا بذكر طرف من إسناده ليتميز رفعه.

الحديث التاسع عشر

في تفسير قوله تعالى: {يسعى نورهم بين أيديهم}

عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله **وَيَسْعَى**: {يسعى نورهم بين أيديهم} قال: يؤتُونَ نورهم على قدر أعمالهم؛ منهم مَنْ نوره مثل الجبل، وأدناهم نوراً مَنْ نوره على إهامه؛ يُطْفِئُ مرةً ويوقد أخرى. رواه الحاكم، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^١.



^١ الشيخين مَنْ؟ يعني الإمام البخاري والإمام مسلم، لماذا؟ مِنْ اصطلاح المحدثين، لأن الشيخين اصطلاح يقع على معانٍ باختلاف الفنون، وبعض الفنون يقع على غير هذا المعنى، فمثلاً إذا قيل في رسم القرآن: ذكره الشيخان، لا يُقصد البخاري ومسلم، وإنما يُقصد أبو عمرو الداني، وسليمان بن نجاح، وكذلك عند الإخباريين والمؤرخين: إذا ذُكر الشيخان فالمراد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. ولذلك ذكرتُ لكم قاعدة نفيسة: أن العبارات يلاحظ فيها الاصطلاحات، يعني عبارة كل أهل فن تُحمل على اصطلاحهم دون غيره.

الحديث العشرون

في تفسير قوله تعالى: {ومبشرا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد}

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي) متفق عليه، واللفظ لمسلم.



الحديث الحادي والعشرون

في تفسير قوله تعالى: {وآخرين منهم لما يلحقوا بهم}

عن أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ^١: {وآخرين منهم لما يلحقوا بهم} قال رجلٌ من هؤلاء؟ يا رسول الله، فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثا، قال: وفينا سلمان الفارسي، قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان، ثم قال: (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء). متفق عليه، واللفظ لمسلم.



^١ إذا جئت تقرأها تقول: فلما قرأ قوله تعالى.

الحديث الثاني والعشرون

في تفسير قوله تعالى: {وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت}

عن أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: (أن تصدق وأنت صحيح شحيح؛ تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تُمهّل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان: كذا، ولفلان: كذا، وقد كان لفلان) متفق عليه، واللفظ للبخاري.



الحديث الثالث والعشرون

في تفسير قوله تعالى: {وضرب الله مثلا للذين آمنوا امراءت فرعون}

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كَمُلْ من الرجال كثير، ولم يكْمُلْ من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) متفق عليه.



الحديث الرابع والعشرون

في تفسير قوله تعالى: {يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون}

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة؛ فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً) متفق عليه، واللفظ للبخاري.



الحديث الخامس والعشرون

في تفسير قوله تعالى: {إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً}

عن عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت: إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته، فتضربُ بِجِرائِها^١. رواه أحمد، وصححه الحاكم، وزاد: وتلت قول الله ﷻ: {إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً}.



^١ الجِران: مُقدَّم نحرها.

الحديث السادس والعشرون

في تفسير قوله تعالى: {يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكرها . إلى ربك منتهاها}

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يسأل^١ عن الساعة حتى أنزل عليه {يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكرها . إلى ربك منتهاها} قال: فانتهى. رواه الحاكم وصححه على شرط البخاري ومسلم، وقال: ولم يخرجاه، فإن ابن عينة كان يرسله بأخرة^٢.



^١ يعني: كان يسأل ﷺ فكان يسأل ربه.

^٢ يجوز: بأخرة، ويجوز: بآخِرِه.

الحديث السابع والعشرون

في تفسير قوله تعالى: {يوم يقوم الناس لرب العالمين}

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: {يوم يقوم الناس لرب العالمين} حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه. متفق عليه، واللفظ للبخاري.



الحديث الثامن والعشرون

في تفسير قوله تعالى: {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون}

عن أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن المؤمن إذا أذنب كانت نُكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صُقل قلبه، فإن زاد زادت، فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه: {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون}. رواه الترمذي والنسائي في الكبرى^١ وابن ماجه، واللفظ له، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.



^١ ما معنى النسائي في الكبرى؟ يعني في سننه الكبرى تمييزاً له عن السنن الصغرى المسماة بـ (المجتبى من السنن المسندة) والكبرى اسمها (السنن).

الحديث التاسع والعشرون

في تفسير قوله تعالى: {فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا}

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (ليس أحدٌ يُحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت: يا رسول الله: أليس قد قال الله تعالى: {فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا} فقال رسول الله ﷺ: إنما ذلك العرض، وليس أحدٌ يُناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب) متفق عليه، واللفظ للبخاري.



الحديث الثلاثون

في تفسير قوله تعالى: {واليوم الموعود . وشاهد ومشهود}

عن أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (اليوم الموعود: يوم القيامة، واليوم المشهود: يوم عرفة، والشاهد: يوم الجمعة) الحديث. رواه الترمذي، وأشار إلى ضعفه.



الحديث الحادي والثلاثون

في تفسير قوله تعالى: {ويتجنبها الأشقى} الذي يصلى النار الكبرى . ثم لا يموت فيها ولا يحيى {

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال: بخطاياهم، فأماهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أُذِنَ بالشفاعة^١ فجيء بهم ضبائر ضبائر^٢، فَبُثُّوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل) فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية. رواه مسلم، وأصله عند البخاري.



^١ هذا من أدلة أن الشفاعة لا تكون إلا بعد جواز الصراط، ولا تكون قبله.

^٢ يعني: جماعات جماعات.

الحديث الثاني والثلاثون

في تفسير قوله تعالى: {وليل عشر . والشفع والوتر}

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: والفجر وليال عشر، قال: عَشْرُ الأضحى، والوتر: يوم عرفة، والشفع: يوم النحر. رواه النسائي في السنن المعروفة بالكبرى، وصححه الحاكم على شرط مسلم.



الحديث الثالث والثلاثون

في تفسير قوله تعالى: {إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا}

عن عبد الله بن زَمْعَةَ رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يَخْطُبُ وذكر الناقة والذي عَقَرَ، فقال رسول الله ﷺ: {إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا} أنبعث لها رجلٌ عزيزٌ عارمٌ منيعٌ في رهطه، مثل أبي زَمْعَةَ. الحديث. متفق عليه.



الحديث الرابع والثلاثون

في تفسير قوله تعالى: {ولسوف يعطيك ربك فترضى}

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: عُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا هُوَ مَفْتُوحٌ عَلَى أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ كُفْرًا كُفْرًا، فَسُرَّ بِذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ولسوف يعطيك ربك فترضى} قال: فَأَعْطَاهُ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَ قَصْرِ فِي كُلِّ قَصْرٍ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ الْوُلْدَانِ وَالْخُدَمِ. رواه الطبراني في المعجم الكبير والأوسط، والمخفوف فيه الإرسال عن ابنه علي^٢، ذَكَرَهُ أَبُو زُرْعَةَ وَأَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيَانِ^٣.



^١ ما معنى كُفْرًا كُفْرًا؟ يعني: بلدًا بلدًا، الكُفْر اسم للبلد الصغير، والعجيب أن بعض النُسخ المحققة يضبطونها: كُفْرًا كُفْرًا! ثم قال في الحاشية: وقع ضبطها غلطًا في كتاب كذا: كُفْرًا كُفْرًا!

^٢ ابن مَنْ؟ عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

^٣ أَبُو زُرْعَةَ مَا اسْمُهُ؟ عبيد الله بن عبد الكريم الرازي، وأبو حاتم؟ محمد بن إدريس الرازي.

الحديث الخامس والثلاثون

في تفسير قوله تعالى: {وأخرجت الأرض أثقالها}

عن أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قَتَلْتُ، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قَطَعْتُ رَحْمِي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطِعَت يَدِي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً) رواه مسلم.



الحديث السادس والثلاثون

في تفسير قوله تعالى: {ألهاكم التكاثر}

عن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: {ألهاكم التكاثر}
قال: يقول ابن آدم: مالي مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيته،
أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأَمْضَيْتَ. رواه مسلم.



الحديث السابع والثلاثون

في تفسير قوله تعالى: {ثم لتسألن يومئذ عن النعيم}

عن أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة — يعني العبد من النعيم — أن يقال له: ألم نُصَحِّحْ لك جسمك، ونُروِّيك من الماء البارد. رواه الترمذي، وقال: حديث غريب.



الحديث الثامن والثلاثون

في تفسير قوله تعالى: {ويمنعون الماعون}

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نَعُدُّ الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدَّلْوِ والقِدْر. رواه أبوداود والنسائي في كبراه، وصححه ابن حجر في فتح الباري.



الحديث التاسع والثلاثون

في تفسير قوله تعالى: {إنا أعطيناك الكوثر}

عن أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما، فقلنا ما أضحكك يا رسول الله: قال أنزلت علي آتفا سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم {إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر . إن شانئك هو الأبتر} ثم قال أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: (فإنه نهر^١ وَعَدَنِي ربي ﷻ عليه خير كثير، وحوض ترد عليه أمتي يوم القيامة: آتيته عدد النجوم، فَيُحْتَلَج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك) رواه مسلم.



^١ نهر: بفتح الهاء وسكونها، لغتان.

الحديث الأربعون

في تفسير قوله تعالى: {ومن شر غاسق إذا وقب}

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نظر إلى القمر، فقال: (يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب). رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

آخر الأربعين المدنية في تفسير القرآن بالسنة النبوية



وبه تمت الأحاديث الأربعون في تفسير القرآن، وإني لأظنها أول أربعين تُصنّف في تفسير القرآن الكريم، لأن العناية بالأحاديث المروية في التفسير اعتراها خلل أوجب تباطؤ الناس عنها بعدم وضع تصانيف يُبتدؤ بها ثم يُرتقى إلى ما بعدها.

وقد هيا الله وضع هذا الكتاب وهو الأربعين المدنية ليكون باكورة الحفظ والفهم لهذا المقصد من العلم، ثم يُرتقى بعده إلى إمداد المستشير، ثم يُرتقى بعده إلى الجامع الصغير إلى آخر تأليف يكون القول فيها في حينها.

وإذ تم هذا الكتاب بحمد الله ﷻ وهو أول هذه السلسلة المباركة بإذن الله، فإن من المقدّر إن شاء الله تعالى أن تكون هذه السلسلة محل الشرح والإيضاح في وقت رمضان، فسنبتدؤ إن شاء الله تعالى في شرح أحاديث التفسير في رمضان ابتداءً من هذه السنة، وأول ذلك شرح هذه الأربعين، ثم ننتقل بعدها إلى إمداد المستشير، ثم ننتقل إلى ما بعدها حتى يُهيا الله ﷻ ما يهيؤ من شرح تلك الكتب المتعلقة بأحاديث التفسير، فهذا أحد الدروس التي ستكون إن شاء الله تعالى في العشرين الأولى من شهر رمضان.

وسيكون إن شاء الله تعالى في شهر رمضان أيضا إن شاء الله تعالى البدء ببرنامج في إقراء كتب الحديث الكبار، وسنبدؤ إن شاء الله تعالى بموطأ الإمام مالك في هذه السنة، وهناك دروس أخرى، لكن النقص والزيادة بحسب ما يكون من حال المسجد النبوي من الدروس، فإنه إذا كان يجلس فيه من الكبار أمثال الشيخ عبدالمحسن العباد، فإننا نعطل الدروس لأجل دروسهم حرصا على انتفاع الناس بأمثالهم.

والمقدّر حتى الآن أن يكون عندنا في العشرين الأولى من رمضان درسان: أحدهما في كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس رواية يحيى بن يحيى الليثي، والأشبه أن يكون وقتها ساعتين بعد الفجر، والدرس الثاني درس في شرح أحاديث التفسير، والكتاب المقدم في ذلك كتاب الأربعين المدنية، وسيكون وقته بين العشائين، ستكون ساعة بين العشائين، بعد

المغرب وقبل العشاء في شرحه، وربما نزيد إما هذه السنة وإما سنة قادمة درساً في السيرة النبوية ودرساً آخر في الشمائل النبوية.

هذا هو المنوي، وقد قال الإمام أحمد لابنه عبدالله: (يا بني: انو الخير ولو لم تعمله، فإن نيتك له عمل) فيؤجر الإنسان على ذلك بنيته، نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم الأجر الأوفى، فهذه دروس رمضان في العشرين الأولى منها، أما العشر الأواخر فلا درس فيها.

وأما الدروس المستقبلية القريبة فعندنا إن شاء الله تعالى برنامج الدرس الواحد في مسجدي في الرياض من التاسع عشر من شهر رجب إلى الرابع والعشرين منه، ثم عندنا درس آخر في مدينة البكيرية في أساس العلم، وهي سبعة كتب من الكتب المعتمدة في أربعة أيام، أولها يوم السبت الخامس والعشرين، وآخرها الثامن والعشرين من شهر رجب، ثم بعد ذلك دروس رمضان.

وفي ختام هذه السنة الدراسية وأنتم تستقبلون إجازتها فيني أهيب بكم أن تعتنوا بالحرص على العلم، تعلماً وتفهماً وتعليماً وبنثاً، فإنه قوام حياتكم. قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (حاجة الناس إلى العلم أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب) قال أبو عبدالله بن القيم رحمه الله: لأن فقد الطعام والشراب تموت به الأبدان، وفقد العلم تموت به القلوب اهـ.

وموت القلوب أشد من موت الأبدان، فاحرصوا على أن تستفيدوا من إجازتكم في إمداد أنفسكم بالعلم وتقويته فيها، ومن كان له نُصْبَةٌ منه فليحرص على تعليم الناس، فإن بقاء الناس إنما هو بالعلم، فإذا بقي العلم بقي الناس في دينهم ودنياهم، وإذا فُقد العلم زالت منهم الدنيا والدين.

وهذا أصل وثيق من تلمس دلائله في القرآن والسنة وجدها، ثم من نظر في حال الأمة طبقة بعد طبقة لن يرى ثباتاً على الدين إلا لمن تعلق بالعلوم الشرعية المقربة إلى الله ﷻ، وأما

من جعل قلبه نهبه للأفكار والآراء المدعّوة شرعا بالأهواء، فإنه يتحير ويتغير ويتلون من حال إلى حال، والثبات عزيز.

فينبغي للإنسان أن يجتهد في طلب العلم، لأنه أعظم العرى الوثيقة التي تُمسك بها للثبات على هذا الدين، فإنه ليس كل أحد تشوّف إلى لا إله إلا الله ثبت عليها، وإنما يثبت عليها من قوّي تعلقه بها، ومن أعظم وثائق العلاقة والصلة بها حرصك على طلب العلم الذي يقربك إلى الله ﷻ.

فأجدها مناسبة مثلى لوصيتكم بالحرص على طلب العلم، وإيصاله إلى الناس، وأنه البضاعة المباركة والتجارة الراجحة وزينة الدنيا والآخرة وفخر الأولين والآخرين وميراث سيد المرسلين ﷺ، فأسأل الله ﷻ أن يلهمنا جميعا رشدنا وأن يعيننا على طلب الخيرات والازدياد منها وأن يبارك لنا ولكم في الاعمال والأوقات والقوات والنيات والذريات، والحمد لله رب العلمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

